الامام رضي الله عنه وقال بر

عليه الحق شيئا مما ينتفع الناس به قال ابراهيم بن ادهم ما سررت في اسلامي الا ثلاث مرات
كنت مرة في سفينة وفيها رجل مضحاك كان يقول كنا نأخذ العلج في بلاد الترك هكذا وكان
يأخذ بشعر راسي ويهزني فسرني ذلك لانه لم يكن في تلك السفينة احد احقر في عينه مني
والاخرى كنت عليلا في مسجد فدخل المؤذن فقال اخرج فلم اطق فاخذ برجلي وجرني الى خارج
المسجد والثالث كنت بالشام وعلي فرو فنظرت فيه فلم اميز بين شعره وبين القمل لكثرته
فسرني ذلك قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله يدل على ان سروره في هذه المواضع
كان من اكمل سرور لانه لم ييسر الا في هذا الوقت وذلك ان ابراهيم بن ادهم كان من ابناء الملوك وكان
وشان الملوك ان من سلم عليهم بغير الادب اهلكوه فضلا عن اذيته فلما وصل ابراهيم الى هذا
الحد من حقرة نفسه عنده وزوال النعمة عليه من ربه سر بصنيع الله به فيد لك قليلر حرا
هو خير مما يجمعون فلما كان في مركب وكان فيه رجل يضحك الناس فلم يجد رجلا لا يؤبه له في
هيئته ولباسه سوى ابراهيم بن ادهم فصار يمسك بشعر راسه ويقول هكذا كنا نفعل بالترك
ونحرك راس ابراهيم بن ادهم فسر ابراهيم وحاشى ان يكون يفعل هذا لشخص به وانما كان سروره
بصنيع الله له وكونه لم يجد في نفسه حركة ولا كراهة من حيث الكبر كما جرت به عادة الملوك
واما السرور الثاني فغيبة زاده لم يذكره هذا الامام وذلك انه قال دخلت مسجدا وكانت ليلة
مطيرة باردة فاردت ان اقيم الى الصباح فمنعني القيم فلما امتنعت جر برجلي حتى اخرجني فطلبت
موضعا استكن فيه فاتيت الى قيم حمام فدخلت فيه فاذا رجل يوقد تحته وهو مشغول
بالرمي فسلمت عليه فلم يلتفت الي ولا كلمني فبقيت ساعة ثم فرغ من شغله واقبل وسلم
علي واعتذر الي من سكوته بانه مستاجر ولا يمكنه تبطيل ما هو فيه وانبسط معي ورايت له
فضلا وخيرا فكان من جملة ما ذكر لي انه سمع بفتى من العباد والزهاد يقال له ابراهيم بن ادهم
وانه له زمان يسال الله تعالى ان يجمع بينه وبينه فقلت له نفسي قد ساقني اليك مجرورا
وعرفته بنفسه واما كون الفرو ما فرق بين شعره وقمله فذلك لكمال شغله بالله تعالى
وكثرة عباداته واعراضه عن راحة نفسه قال الامام رضي الله عنه وفي حكاية اخرى
عنه قال ما سررت بشيء كسروري فيه يوما جاء لسانا في السابق ونال علي قال الشارح
رضي الله عنه وانما كان سروره بذلك من جهة سكون نفسه وعدم تغيرها لما اجراه الله
عليها من هذه الاحوال التي يقل الصبر عندها ويثور من النفس طلب الانتقام ممن نال منها
وذلك لكمال معرفته بالله ورؤيته الافعال من جهته لا غير ولا يعترض على هذا بكون نال منه
عاص وكيف يجوز السكوت عنه ولا يغير عليه ما فعله من المنكر والجواب عن هذا من وجهين
احدهما ان يكون عاجزا عن التغيير بلسانه لكون هذا من الظلمة المشهورين ويكون تغييره
بقلبه لم يظهر الوجه الثاني ان يكون غيره بلسانه وانكر وليس له حاجة الى ان يذكره للغير

حتى

حتى ينقل عنه وانما ذكرها لمعرفته بنعم الله عليه وما نقله منه من شرف السلطنة
الى شرف الطاعة قال الامام رضي الله عنه وقيل تشاجر ابو ذر وبلال رضي الله عنهما
فعير ابو ذر بلالا بالسواد فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ما علمت انه
بقي في قلبك من كبر الجاهلية شيء فالقى ابو ذر نفسه وحلف ان لا يحمل راسه حتى يطا بلال
خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل بلال قال الشارح رضي الله عنه وقد نقلت هذه الحكاية
على وجه اخر وهو ان ابا ذر قال له يا ابن السوداء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم طف الصاع
يا ابا ذر ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل الناس من ادم وادم من تراب فاقسم ابو ذر لا بد
ان يضع قدمه على خده ثم وضع ابو ذر خده بالارض وحمل بلال رجله على خده ابرارا لقسمه
وهكذا يكون التواضع بعد الزلل والاعتراف بالحق لمستحقه قال الامام رضي الله عنه ومر
الحسن بن علي رضي الله عنه بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل واكل معهم ثم حملهم
الى منزله واطعمهم واكساهم وقال اليد لهم لانهم لم يجدوا غير ما اطعموني ونحن نجد اكثر منه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما تقدم من رؤية الحق لمستحقه وقبوله من العالي والنازل
والكبير والصغير وغير ذلك انه رضي الله عنه لما مر بهم وقد كسروا كسرهم ليأكلوا فدعوه
ادبا معه فلم يحمله رضي الله عنه ما هو عليه من الجاه والحرمة ان يمتنع لاجابة دعاء الصبيان
للكسر فاجابهم تواضعا واتباعا للعلم وقوله عليه السلام من دعي فليجب ولو الى كراع وهو
خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب دعوة العبد والخادم ثم اراد ان يجازيهم على ما فعلوه
من الخير فحملهم الى منزله واطعمهم وكساهم وانهوا ان الفضل لهم للسابقة في الاحسان وبذلك
اكرمهم قال الامام رضي الله عنه وقيل قسم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الحلل التي اتي بها رضي الله
عنهم في غنيمة فبعث الى معاذ حلة ثمينة فباعها واشترى ستة اعبد واعتقهم
فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكان يقسم الحلل بعد فبعث اليه حلة دون ذلك فعاتبه معاذ
فقال عمر لانك بعت الاولى فقال معاذ وما عليك ادفع الي نصيبي وقد حلفت لاضربن بها راسك
فقال عمر رضي الله عنه هذا راسي بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ قال الشارح رضي الله عنه
هذه الحكاية تدل على كمال تواضع عمر بن الخطاب في حال كونه خليفة للمسلمين وقد دانت له
ملوك الارض من الكافرين وبعد هذا لما قال معاذ وقد اقسمت لاضربن بها راسك فقال هذا
راسي بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ وما واجه معاذ في غيبته فان الامام اذا اداه نظره الى ان
يعطي احدا من المسلمين ما يستحقه فلا حاجة بعد ذلك الى البحث عما صنع فيه فانه قد ملكه ويتصرف
فيه كيف احب فلما علم عمر بما فعل بالحلة الاولى وقصر في الثانية التي ارسلها اليه عن الاولى عرف ذلك
لامير المومنين وانه لا حاجة به لما فعل ولا اعتراض عرف ذلك عمر رضي الله عنهما والحقه باصحابه
بالحلة الجيدة ونال ايمانا ثم تواضعا وفضلا قال الامام رضي الله عنه يجب مخالفة النفس